

ملاح الحياة الاجتماعية خلال عصور ما قبل التاريخ

د. محمد رشدي جراية، جامعة الوادي

البريد الإلكتروني: med.rouchdi@gmail.com

ملخص:

بدأت الملاح الأولى للحياة الاجتماعية بأغلب مظاهرها وأطرها خلال المراحل البدائية السحيقة مصاحبة للتطور البيولوجي و النفسي و الإقتصادي للإنسان العاقل الأول (البدائي) في عصور ما قبل التاريخ والذي دام لملايين السنين خلال العصور الحجرية القديمة بفروعها (الأسفل و الأوسط و الأعلى و حتى اللاحق) لكن ما زاد في تطوير قوانين الحياة الاجتماعية و تعقيدها هو دخول الإنسان (العاقل العاقل) الثورة الإنتاجية الكبرى التي عرفها خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتي) إذ رسمت معالم حياة جديدة للإنسان منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد حيث أصبحت تقريبا كما هي عليه الآن من تأسيس للأسرة و نشوء القرى و التخصص في العمل و زيادة الروابط بين الأفراد.

الكلمات المفتاحية: العصور الحجرية، المجتمع البدائي، القرية، التخصص في العمل ، الأسرة ، المرأة، ظهور الزعامة.

The facies of social life during prehistoric times

Abstract:

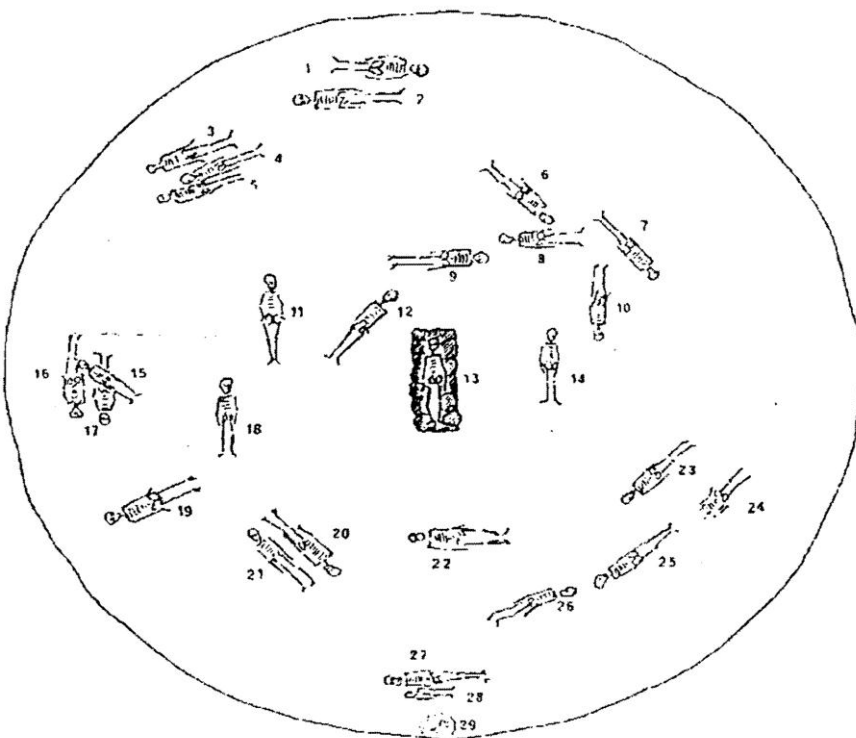
The first facies of social life emerged in its most events and frames of the first characteristics during primitive times immemorial, associated with the development of biological and psychological and economic diversity of the human sapiens (primitive) in prehistoric times, and lasted millions of years by the ages of Paleolithic (lower and middle and higher, even as épipaléolithique) but which increased the development of social legislation is the human input (sapiens sapiens) and major productivity revolution known to man over the age (Neolithic) where he painted a new life for one in ten thousand years BC where it became almost like it is now to establish family and the emergence of villages and specialization of labor and increase connections between individuals.

مقدمة:

المجتمع مجموعة من الأفراد تعيش في موقع معين لهم نمط معيشة مشترك يرتبطون فيما بينهم بعلاقات ثقافية و إجتماعية و دينية، ويسعى كل واحد فيهم الى تحقيق المصالح و الإحتياجات.¹

لدراسة مجتمع عصور ما قبل التاريخ نواجه صعوبة إظهار الوصف الدقيق للعلاقات الإجتماعية فكلمنا نزيد توغلا في القدم تزداد صعوبة خاصة في فترة العصر الحجري القديم (الباليوليتيك) نظرا لإنعدام المادة المكتوبة و قلة البقايا المادية المتخلفة مما يجعل الأمر أقرب منه الى التخمين، لكن الراجح أنه لم يكن هناك مجتمع خلال العصر الحجري القديم (الباليوليتيك) بل كان يوجد نوع من التجمع بإعتبارا أن الإنسان كائن إجتماعي يحبذ التجمع و خلق الروابط² حيث يظهر لنا الشكل رقم (01) مدفن جماعي (تميليس) يعود الى عصر الباليوليتيك حيث نخلص من خلال التمهيص في مخطط هذا التمهيل بملاحظة تعدد القبور و وجودها الى جانب بعضها البعض في شكل جماعي ، حيث تظهر في الوسط جثة مقبورة بعناية تحيط بها الأحجار في شكل مستطيل كما أختير موقعها تقريبا في نقطة وسط دائرة قاعدة التمهيليس ، مما يجعلنا نحكم بوجود صلة قرابة أسرية أو قبلية بين هؤلاء الأشخاص المقبورين.³

و من أركان حرفة الصيد و النقاط الثمار في أي مجتمع بدائي بسط القبيلة هيمنتها على مساحة معينة بحيث لا تسمح للقبائل الأخرى بالإقتراب منها ، مما أدى الى نشوب حروب و كانت كل قبيلة تتخذ نظاما إجتماعيا يهيئ لها أسباب الدفاع عن تلك الحقوق بما في ذلك التماسك و الترابط و وجود رئيس يقبض على زمام الأمور.⁴



شكل رقم 01 : مدفن جماعي (تميليس)

المرجع: J.Chaline, L'histoire de l'homme et des climats au quaternaire, p328.

و هذا ما لوحظ عند بعض الشعوب التي بقيت الى غاية بدايات القرن العشرين تعيش نمط حياة العصر الحجري القديم (الباليوليتيك) حيث تعتمد على الصيد و التقاط الثمار و حتى أكل لحم البشر إذا لزم الأمر مثل سكان أستراليا الأصليين و قبائل البوشمن و الهولنتون و قبائل حوض الكونغو.⁵

إن نشوء العائلة والمجتمع يمكن تتبع آثار أصوله خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتيك) بعد ارتباط إنسان هذا العصر بالأرض إثر إكتشافه الزراعة، وتعلقه بتربية الحيوانات، وحرصه على زيادة عددها مما نتج عنه ظهور الملكية،⁶ و نستطيع أن نتبين ذلك من خلال تطرقنا الى:

أ/ الملكية و المجتمع :

تعتبر القرى مراكز إستقرار للمجتمع الريفي ومن إتحادها ظهرت المدن و الدول ، ففي القرى الزراعية ظهر التنظيم الإجتماعي و إستطاع الأقوياء الفوز بمساحة أكبر من الأرض وسخروا المستضعفين في زراعتها فصار لهم عليهم قدرا من السلطة و من هنا ظهرت الطبقات الإجتماعية.⁷

كما يبدو أن مجتمع القرية في العصر الحجري الحديث كانت له حقوله الخصبة التي تستغل جماعيا من قبل العائلات و كذلك الرعي يمارس جماعيا حيث الحيوانات ملكا لجميع أفراد العائلة أو العشيرة،⁸ إذ كانت القطعان أحد أوجه الملكية أو بالأحرى الثروة الرئيسية التي تكتنزها بعض المجتمعات النيوليتية.⁹

و من أهم ما ظهر خلال هذا العصر هو بداية ظهور الملكية الفردية¹⁰ حيث إقتصرت في البداية على إمكانية إمتلاك الفرد للسلاح و الأدوات الحجرية وأدوات الزينة ومنتجات الفخار و النسيج كما إمتلك بعض الأفراد أشجار الفاكهة و وراثها لأبنائهم كما كانت القوارب¹¹ و المنازل ملكا جماعيا للعائلات التي تعيش فيها في كل المحلات القديمة خلال لعصر الحجري الحديث.¹²

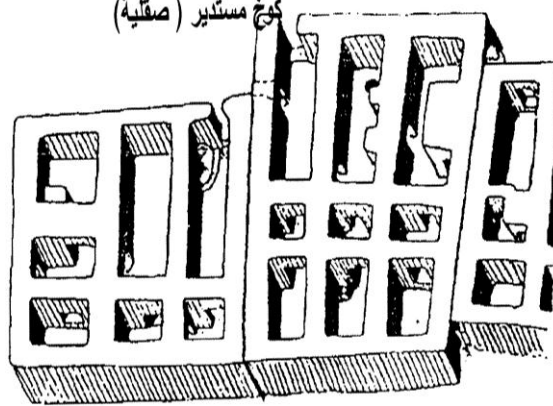
و مع الإستقرار و الحياة في مسكن زادت الروابط العائلية و تدعمت سلطة رب الأسرة ، فبعد أن كان الأولاد عبئا عليه في ظل حياة الصيد و التنقل الدائم خلال العصور الحجرية القديمة بدأ يشعر خلال العصر الحجري الحديث بحاجته لأولاده في زراعة أرضه ، و جمع خيراتها و حمايتها و صد الغير عنها.¹³

و عندما قابلت الزارع مشاكل تحتاج الى أكثر من جهد واحد تعاون مع غيره من الأفراد في زراعة الأرض، و تكون بذلك نظام شبه قبلي ساعد على التمتع بحياة مستقرة، و هكذا تكون المجتمع الأول فكانت إحدى النتائج الهامة للحياة الاجتماعية أنها كونت القرى.¹⁴

حيث أوجد الإنسان مأواه في الكهوف و المخابىء الطبيعية، ثم أسس بناءات بدائية خلال العصر الحجري المتأخر عثر على أطلالها بالشرق الأوسط (الحضارة الناطوقية)،¹⁵ لكن بحلول العصر النيوليتي و إزدياد الكثافة السكانية ونشوء مساكن مستقرة دائمة (شكل رقم 02) أدى الى تزايد حجم السكان وكثافتهم بصورة مستمرة مع إرتفاع ملحوظ في إنتاجية النشاطات الزراعية، وبدأ تكدس الناس في القرى، و لاحقا في المدن الدائمة المحاطة بالحقول و المراعي ، و يمكن ذكر موقع أريحا في وادي نهر الأردن ،وموقع (شطالهيوك) في تركيا كمثالين لمواقع الحياة المستقرة الدائمة الضخمة التي ولدت في العصر الحجري الحديث.¹⁶



كوخ مستدير (صقلية)



منزل مستطيل (العراق)

شكل رقم 02 : بعض أنواع مساكن العصر الحجري الحديث.

المرجع : G.Camps , néolithique méditerranée, p 11

إن تجمع عدة مساكن أدى الى ظهور القرى و من ثم تكون المجتمع القروي أو القبلي على أقل تقدير، مما نجم عنه ظهور سلسلة من العادات و التقاليد الاجتماعية العرفية التي سيسهر على حمايتها و تطبيقها شيوخ أو زعماء هذه القبائل و الجماعات مما أدى الى خلق النواة الأولى التي ستتطور مع الزمن مؤدية لظهور الكيانات السياسية البدائية الأولى فيما عرف بدويلة المدينة إبان فترة فجر التاريخ خاصة في جنوب غرب آسيا .

ب/ التخصص و التبادل :

يعني التخصص في العمل إقتصار فرد أو جماعة على القيام بعمل معين ، تدعو إليه إختلاف ظروف المجتمع ، سواء كان الإختلاف في الظروف الطبيعية و البيئية، أو إختلاف استعدادات الأفراد و قدراتهم الجسدية و الذهنية، ولقد نجم عن ظهوره فوائد عدة أهمها :¹⁷

- . ساعد على توزيع الاعمال بين الأفراد حسب مزاياهم.
- . زاد من إتقان الأفراد للعمل .
- . يؤدي إلى زيادة الإبتكار .

ساعد على قيام التبادل و المقايضة بين الجماعات لتخصص كل جماعة في إنتاج معين¹⁸ فلم تظهر الحاجة الى إختراع النقود خلال العصور البدائية، التي كان الإنسان خلالها إما مكتفي ذاتيا سواء على مستوى الفرد أو العائلة أو الجماعة، أو يلجأ الى التبادل المباشر عن طريق المقايضة.¹⁹ و قد تطلب إقتصاد العصر الحجري الحديث تخصصا في العمل و المهارات أكثر من ذي قبل في مجتمعات الصيد هذا التخصص بدأ طفيفا في البداية لكنه إزداد مع تطور العصر.²⁰ كانت هناك أسس لتقسيم العمل بين الجنسين فمن شأن النسوة فلح الأرض و طحن الحبوب و صنع الخبز و غزل الخيوط و نسجها ، و صنع الأواني أما الرجال فمن المحتمل أنهم كانوا يقومون بتنظيم الحقول و يعدونها للزراعة و يبنون المساكن و يربون الماشية و يخرجون للصيد و القنص و يصنعون الآلات والأسلحة.²¹

فقد إحتلت المرأة في مجتمعات العصر الحجري الحديث مكانة مرموقة ،لم تعرفها على ما يبدو من قبل لأن طريقة الحياة و متطلباتها الجديدة كانت مطابقة لنشاط للمرأة تماما.²² و مع ظهور الحرف و إتساع نطاق تقسيم العمل و التخصص كثرت الصلات الاجتماعية وندعت بعد أن شعر أصحاب كل حرفة بحاجتهم الى منتجات الحرف الأخرى ، و مع الزمن ظهرت روح الجماعة و فكرة المصلحة المشتركة كدوافع ذات أثر بعيد في حياة سكان القرى.²³ لقد أدى ظهور المهام التخصصية الى وجود حرفيين متفرغين أصبح بإمكانهم مبادلة منتجاتهم الحرفية و مقايضتها بالطعام الذي ينتجه آخرون ، وأضحى ممكنا مع إستمرار تطور التقنيات الزراعية و تراكم عائدتها تحرر فئات من السكان من مزاوله مهام إنتاج الطعام ليظهر على المسرح الكهنة و التجار و الإداريون وغيرهم.²⁴

و ربما وجد قليل من العمال المتخصصين خارج مجتمع القرية لممارسة صناعة الصوان و الحجارة و للحصول على المواد الأولية اللازمة لصناعة الفؤوس في صورة دقيقة لقد أعتقد أن أفراد أي حرفة يتجمعون سويا و يكونون مجموعات خاصة بهم كما يفعل الحدادون حاليا.²⁵ لقد أصبح فائض الطعام المنتج في شكل حبوب و قطعان مخزونة بمثابة رأس مال أسهم في بروز أشكال جديدة من المعاملات الإقتصادية فتطورت المبادلة و المقايضة و ظهر الإتمان و التسليف نظير المنتج المستقبلي.²⁶ وهكذا أدى تنوع النشاطات الإقتصادية خلال العصر الحجري الحديث وتنوع الحاجيات الى ظهور التخصص في العمل لأنه لم يعد بإمكان الفرد الواحد أو حتى العائلة الواحدة تلبية جميع حاجياتها المتعددة بمفردها بسبب تنوع النشاطات و محدودية الوقت مما نجم عنه ظهور التخصص في العمل ، ثم التبادل و المقايضة.

ج/النظام العام :

في هذا العصر كان أغلب سكان أوروبا و جنوب غربي آسيا يعيشون في قرى صغيرة يتراوح عدد مساكن الواحدة منها بين 25 و 35 مسكنا ، وكانت هذه المجموعات الصغيرة من السكان تشكل وحدات إجتماعية يتعاون جميع أفرادها في جلب الخبز المشترك و دره الشر المشترك.²⁷

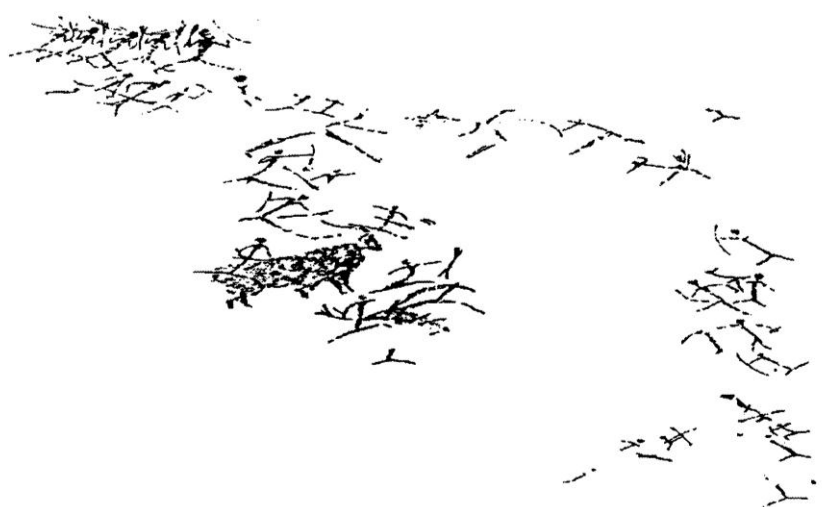
من الراجح أن كل قرية كان لها رئيس يفرض على سكانها عرف الجماعة ويفصل فيما بين أفرادها من خلافات ومنازعات ويستدل على ذلك بالعثور على عصا خشبية في يد جثة بأحد القبور التي تعود الى العصر الحجري الحديث كرمز للسلطة أي أنها كانت تتخذ كصولجان.²⁸

وكان من نتائج العيش في القرى والمدن الصغيرة الشعور بالحياة المشتركة والجيرة وساد السلام فكانت وسائل الدفاع والحراسة عن القرية في أوائل العصر غير موجودة أو متواضعة لعدم وجود ما يثير الأحقاد والحروب (شكل رقم 03) فكل ما قام به أهل القرى لم يتعد حفر خندق أو بناء سور لدرء خطر الحيوانات المفترسة، أو منع الماشية الشاردة من الخروج الى الخلاء.²⁹

لكن على النقيض في الأطوار الأخيرة من هذا العصر ظهرت فؤوس المعركة والخناجر وأسلحة أخرى ، خاصة بالقارة الأوروبية وروسيا وقد يرجع ذلك الى إزدياد السكان ونقص الأراضي.³⁰

كان منصب رئيس القرية من نصيب الحائزين على صفات الشجاعة والإقدام والقوة والتبحر في الإلمام بالطقوس الدينية ليقود المقاتلين في الحرب،و أن يدبر مهام منطقته،كما كان يمارس سلطته في فض المنازعات و إرساء السلم في منطقته وربما كانت الزعامة تورث في عائلات معينة.³¹

إحتوت أحد مقابر قرية العمري (في مصر) على عصى منحوت عليها رسوم قيل أنها تشبه العصى الملكية (الصولجان) التي كانت في الفترة التاريخية من العلامات المميزة للوجه البحري ويوحى هذا الأمر الى أن بعض فلاحي العصر الحجري الحديث قد حكمهم بالفعل رؤساء.³²



شكل رقم 03 : معركة بالاقواس والسهام (النيوليتي الإسباني).

المرجع: G.Camps, Le néolithique méditerranéen,p 86.

د/ نشاطات تتطلب التعاون و التكاثف الاجتماعي:

الزراعة: بعد أن ظل الإنسان طوال العصر الحجري القديم يعتمد في عيشه على جمع القوت ، أخذ ينتقل في أواخر العصر الحجري الحديث (النيوليتي) الى طور جديد حيث تبدلت أساليب عيشه بإهتدائه الى طور إنتاج القوت بحرث الأرض و زرعها بالحبوب البرية ، مدشنا بذلك مرحلة جديدة.³³ حيث تم تدجين (البطاطا) بجنال الأنديز بأمريكا الجنوبية ، فأشارت الدلائل الى أن جامعي الغذاء الصيادين بهذه المنطقة قد دجنوا أنواعا من البطاطا البرية قبل نحو 7000 سنة من الآن،³⁴

أما أهم المحاصيل التي زرعت فهي القمح والشعير خاصة في العالم القديم كما راجت زراعة الشعير بأوروبا بكثافة الى جانب القمح والبقول العريض، وعثر بشمال الصين وجنوبها على بقايا الأرز³⁵، أما بالعالم الجديد فزرعت بمنطقة الكاريبي و أمريكا الجنوبية الذرة (شكل رقم 04)، و محاصيل جذرية كالطماطم و الفستق و البقول السوداني و البطاطا.³⁶

الصيد: عاش الإنسان البدائي طيلة فترة العصر الحجري القديم الطويلة و التي دامت ملايين السنين على صيد الطرائد البرية جمع ما تجود عليه به الطبيعة من ثمار برية و حتى بعد إكتشاف الزراعة وممارستها لم تتوقف حرفة الصيد إذ بقي أناس العصر الحجري الحديث يصطادون طرائدهم، (شكل رقم 04) و إن غدت الحرفة ثانوية في أهميتها لكنها إستمرت الى غاية الفترة التاريخية ، حيث أصبح الصيد ضربا من التسلية و اللهو.³⁷

لقد دلت الآثار التي عثر عليها بمواقعهم أن النيوليتين ظلوا يمارسون الصيد و القنص الى جانب الزراعة و الرعي،³⁸ و لقد إستمر الصيد الى غاية 5000ق م ، حيث بدأت أهميته بعد ذلك تضعف.³⁹ كما كان الصيد بالفخاخ والسهم والقوس وبالشباك شيئا مهما في حياتهم الإقتصادية على الرغم من كونهم يرعون قطعان الماشية و الخنازير و يمارسون الزراعة⁴⁰.

ففي حضارة البداري الحجرية الحديثة بمصر ، وبسبب وفرة الصيد على الهضبة ورغم كونهم رعاة ماشية ومزارعين مهرة ، فقد خرج البداريون⁴¹ للصيد بالقوس والسهم وعصى البومرانج (boome- rang ،⁴² لكنهم في القنص إستخدموا سنانير من الأصداغ⁴³ (شكل رقم 05).



شكل رقم 04: طباء واقعة في فخ (نقادة الثانية).



شكل رقم 05: قناصان (نقادة الأولى).

المرجع : محمد أنور شكري ، الفن المصري القديم ، ص ص 17،22 .

الحرف:

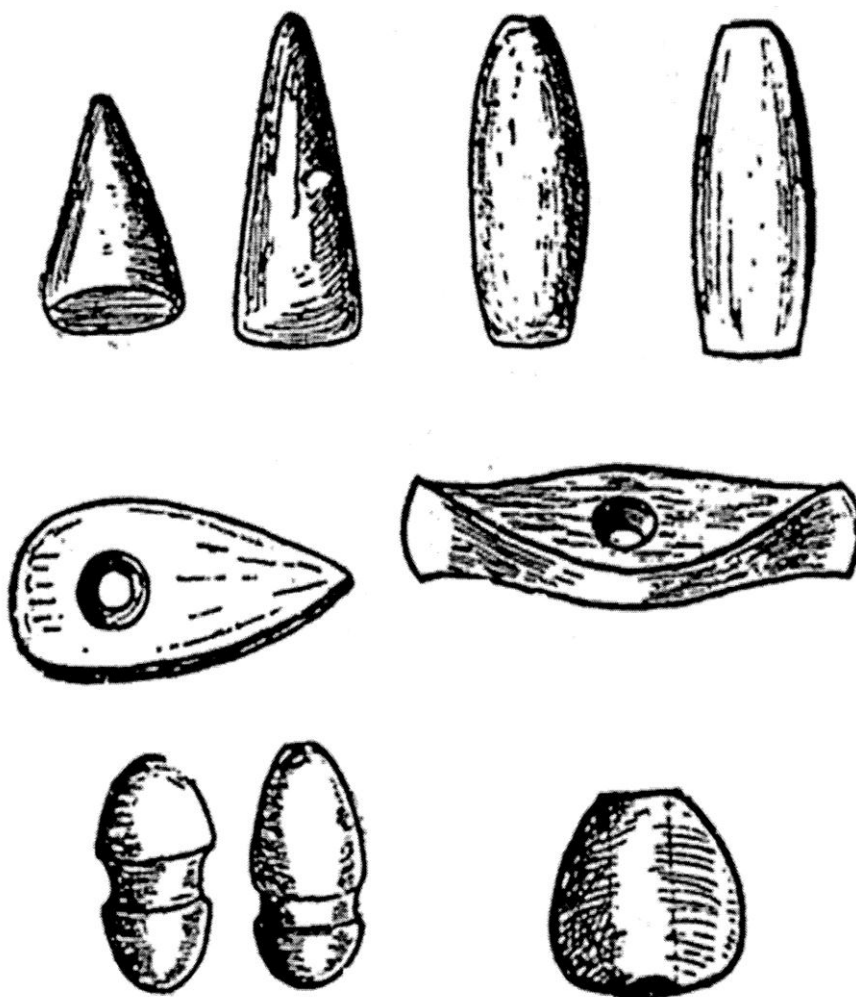
من الأدوات المتعددة التي إستطاع إنسان العصور الحجرية تشكيلها التّصال والمحكات والمثاقب ونصال الحز و رؤوس السهام بأنواعها ،و الفؤوس الصوانية المصقولة، المصنوعة من الحجارة الشديدة الصلابة أو من الطران، بأشكالها ومقاييسها المتنوعة من 25سم الى 50سم⁴⁴ (شكل رقم 06). ونظرا لأهمية الفأس الثقيلة المصقولة في إقتصاد العصر الحجري الحديث فقد وجهت الجهود لإنتاجها وتوزيعها، في تلك الفترة ولعل من أبرز تلك المجهودات إستغلال المناجم والمحاجر للحصول على المواد الخام اللازمة كالصخور النارية الصلبة (الطران)، وهناك دلائل على أن تعدين الطران وصل في بعض المناطق لدرجة الصناعة المتخصصة ، فالعمال النيوليتيون المشتغلين في الصناعة كانوا عمالا متخصصين في المجال الحرفي.⁴⁵

كما عرف الإنسان منذ العصر الحجري القديم الأعلى ، صنع التماثيل الصغيرة من عجينة الطين وشيها أحيانا على النار ، لكنه لم يستخدمه ، في صنع الأواني ، إلا في حقبة العصر الحجري الحديث، ففي مواقع نيوليتية كثيرة بالشرق الأوسط عثر في الطبقات العائدة ،لبدايات النيوليتي على القصعة البيضاء ذات السطح المصقول المصنوعة من الجبس الممزوج بالرماد،و لم يكتب لها الإستمرار فسرعان ما حل محلها الفخار.⁴⁶

وبينما إستطاع النيوليتيون الأوائل تشكيل فخار متين تمكن أحفادهم في أواخر العصر الحجري الحديث من صناعة فخار مطلي رقيق⁴⁷.

حيث عثر في تل مورييت بسوريا على فخار يعود الى 7700 ق.م و في غنچ دراح بإيران يعود الى 7000 ق.م وهما من الفخار الخشن البدائي ، وبحلول الألف السادسة ق.م كانت صناعة الفخار قد إستقرت في سوريا الغربية.⁴⁸

كذلك إنتشرت صناعة أدوات الزينة مثل صناعة حبات الخرز من العقيق والأصداف البحرية والحجارة العادية وقشور بيض النعام، بالإضافة الى صناعة الأمشاط والأساور وبعض الحلي التي تتدلى من العنق وأكثرها من العظام والأصداف في الكثير من مناطق العالم القديم.⁴⁹



شكل رقم 06 : أدوات نيوليتية متنوعة من مناطق متفرقة.

المرجع : R.Furon, Manuel de préhistoire générale, p p 295-296.

ملاح الحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال العصر النيوليتي:

لقد إنعكست بدورها الثورة الإنتاجية الشاملة التي عرفتها الشعوب النيوليتية عامة الى إحداث تغيرات على مستوى الحياة الاجتماعية، التي صاحبها تغيرات أخرى تمخض عنها العيش في منازل أو أكواخ أو قرى مستقرة ، مما أدى أحيانا الى نشأة نظام أدق و سلطة أكبر.⁵⁰

حسب أهم ثلاث حفريات بالمواقع المكتشفة ببلاد المغرب خلال العصر النيوليتي (أي موقع أمكني ، و موقع المنية ، و موقع تديكيلت) فإن المساكن كانت عبارة عن كهوف و مخابىء صخرية متناثرة زودتهم بها الطبيعة فاتخذوها كمنازل لفترات زمنية طويلة جدا ، إذ يثبت ذلك المزابيل المتراكمة قبالتها لأكثر من مترين سمكا أحيانا، مما يدل على توفر شروط الحياة الجماعية وعلى ما تمتعوا به من خيارات.⁵¹

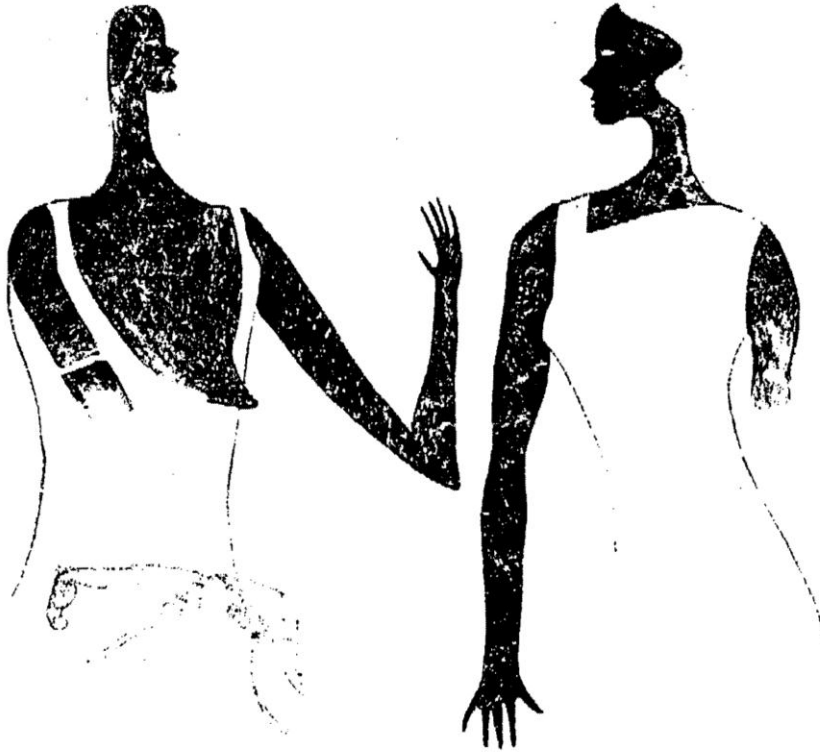
ففي مخيم أمكني مثلا كانت الأكواخ منصبة بين الكتل الحجرية ، النسوة تدق الذرة وتطحن بذور النباتات البرية حيث يطبخن الطعام في قدور نموذجية مصنوعة من الطين، الذي تم جمعه من حافة النهر بعضهم يحضرن جلود الطباء و الأبقار، يصنعن السلال الشبيهة بالشباك و التي تستخدم في القنص، بعد أن تعلق بها الخطاطيف العظمية، ويبقى هناك متسع من الوقت بعد ذلك للتسكع و الراحة و التسامر.(شكل رقم 07).⁵²

أما في المنية يمكن إعادة تشكيل الموقع الذي كان عامرا و أهلا بالسكان على النحو التالي: كانت هناك بحيرة صغيرة محاطة برى صخرية بها مخابىء وكهوف وكانت نشاطات الجماعة تدور حول الرعي، كانوا يستغلون سلسلة من الكهوف و المخابىء كثيرة وفي أرضية الكهف المتكونة من الدوبال (تربة عضوية) ، يغطونها بالرماد لتكون مريحة وصحية أكثر، فقد كان كل مخبأ مأهول عبارة عن مقر وقريبا من هذه الكهوف كانت المشاهد العائلية للحياة المستقرة (شكل رقم 08)، حيث تمارس الصناعة الحجرية و الفخارية و غيرها.⁵³

وهكذا نلاحظ أن أماكن السكن كانت دوما تقام على الأطلال والأماكن المرتفعة بجوار النتوءات البارزة من الكتل الصخرية ، أو تشرف على أحد الأودية، أو مخطط مائي قديم ، مثلما هو الحال في موقع أمكني أو موقع المنية ، و إختاروا مثل هذه الأماكن لإستقرارهم ، حتى يسهل عليهم الدفاع عنها ، لصعوبة إقتحامها و دخولها من قبل الغزباء.⁵⁴

كما ينبغي الإقرار بأن غالبية أدوات الزينة الثمينة(خاصة المجوهرات المصنوعة من العقيق الأحمر، و النياط القلبية الشكل المصنوعة من نفس المادة) تخص رجال لهم مكانة مرموقة ما هم في الحقيقة سوى رؤساء التنظيم الإجتماعي القائم آنذاك و تدفن معهم بعد ممانهم و شاعت هذه الظاهرة في تقاليد الرعاة البقارة ، لهذا غالبية قبورهم كانت منهوبة المحتوى.⁵⁵

ففي مرحلة البقارة الرعاة رسمت النساء رفقة أطفالهن وقدر الطبخ أمامهن ، ومشاهد الحوار العائلي بينهم وبين أزواجهن (الشكل رقم 09) ، هؤلاء الرعاة مسلحين في بعض الأحيان بالفؤوس يبدو أن أصولهم من أعالي النيل بناء على رسومات ذات تأثيات مصرية.⁵⁶



شكل رقم 07 : حوار بين سيدتين.



شكل رقم 08 : مشهد عائلة متجمعة حول النار.

المرجع : H.j.Hugot ,le sahara avant le désert, pp 136,164.

كما يبدو من خلال حفرة موقع بتديكيلت أن المساكن التي تقيهم قسوة المناخ حينها كانت عبارة عن أكواخ و زرائب تشيد من الخشب والقصب والجلد، ربما أحيانا من الطين بإعتبارها مواد متوفرة حينذاك، إذ

كانت الأخشاب و القصب (البوص) متوفرة حينها ، لكن الأحجار لم تكن مستعملة في بناء الأكواخ ، ليس بسبب إنعدامها و لكن بسبب العمق الشديد لطبقة الأحجار الرملية و لم يعثر بعين المكان سوى على ركامت حجرية رسوبية صغيرة تستعمل في صنع بعض الأدوات.⁵⁷

فعدم إستعمالهم الحجارة في تشييد المنازل يرجع دون شك لعدم ضرورتها في نمط مساكنهم إذ أن وجود التخصص في العمل الذي بدى واضحا (بموقع أولف حيث عاش النيوليتيون لفترة زمنية طويلة و بأعداد هائلة) على أن مفهوم التخصص في العمل كان معروفا وبدقة متناهية ومنظمة مما يفترض حتما وجود القرية⁵⁸ (شكل رقم 10).



شكل رقم 09 : مشهد من الحياة اليومية (مرحلة الرعاة).

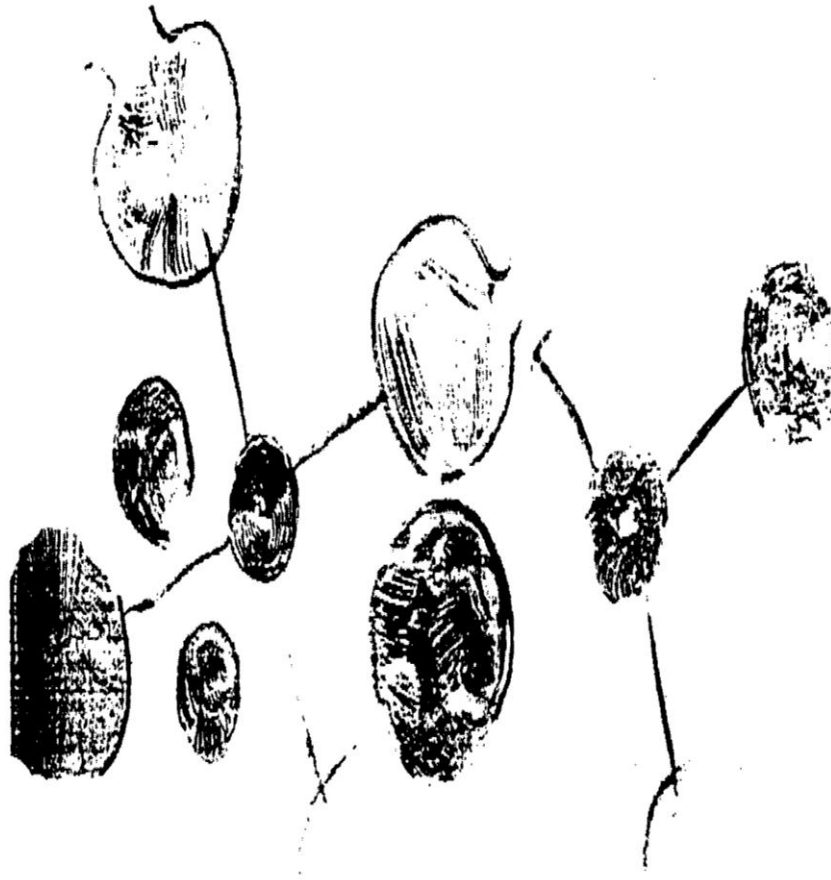
المرجع : A,ferrah, L'algerie civilisations anciennes du sahara, p200.

إن مفهوم التخصص له أهمية كبيرة إذ يدلنا على طبيعة الروابط الاجتماعية ومدى عمقها وتطورها ، ربما أملت ذلك التعاون صناعة الفخار والدقة المتناهية في صناعة رؤوس السهام حيث تحتاج الى يد فنية مؤهلة و مختصة، لابد أن تتوفر لها مستلزماتها الحياتية المتنوعة عن طريق مقايضة هذه المنتجات

الصناعية بمنتجات أخرى غذائية وغيرها كما له دور كبير في تنظيم و تقسيم القرى و في المفهوم الاجتماعي للجماعة، فالنيوليتيون تركوا شواهد غير ناطقة عن تنظيمهم الاجتماعي المتطور.⁵⁹

قدمت لنا بعض الرسوم الصخرية بتيوت رسوم الأشخاص في شكل زوجين يربط بينهما خط رفيع ، ربما قصد به علاقة الزواج وبما أن جنسهما غير مميز ، فإن أحدهما يميز بحمله قوسا علامة على أنه الزوج (الذكر) ، بينما أحد هذه الرسوم جسدت ثلاثة أشخاص يربط بينهم خط أحدهم يحمل قوسا (الرجل) ، والثاني هي المرأة بينما الثالث أصغر حجما من سابقه يحتمل أن يكون الطفل.⁶⁰

على هذا يكون كيان الأسرة قد عرف عندهم و التخصص في العمل أيضا مما يدل على وجود بعض الأعراف تحكمهم على الأقل و تنظم سير حياتهم الاجتماعية.



شكل رقم 10 : مخطط لمسالك يحتمل أن يكون مخطط لقرية (أونرهات).

المرجع : H.j.Hugot , le sahara avant le désert, P 127

الخاتمة:

لا توجد خلال فترة العصر الحجري القديم (الباليوليتي) أية إثباتات عن وجود الأسرة أو كيان اجتماعي معقد ، حيث كان الإنسان عموماً (سواء إنسان نياندرتال أو الإنسان العاقل العاقل) يعيش في زمر غير محددة المعالم بسيطة في تنظيمها و هيكلتها الهدف من ورائها تسهيل عملية الصيد أو الإحتماء من هجومات الحيوانات المفترسة.

غير أن التغيير الكبير حدث عبر فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتي) حيث ظهرت نقلة نوعية تجلت في تطور كيان الأسرة حتى أصبحت بمظاهرها الحالية (أب و أم وأطفال وربما الجد و الجدة) بإعتبار أن الأسرة هي الحجر الأساس في تكوين أي مجتمع إذ توفر شروط تكون حياة إجتماعية راقية.

لقد تجلّى ذلك في نشوء القبيلة كهيكل معنوي والقرية كهيكل مادي ثم تطور إلى مفهوم المدينة ثم المدينة الدولة منذ فجر التاريخ و بدايات الفترة التاريخية في العالم القديم.

تظهر بعض الرسوم الصخرية وبعض الدلائل الجنائزية كالقبور الجماعية أن علاقات العمل والصدقة و الإختلاط مع الآخرين وتقديم الخدمات المتنوعة بين الأشخاص كانت متوفرة قليلاً منذ العصر الحجري القديم الأعلى و زادت تلك الروابط خلال فترة العصر الحجري الحديث لإعتبارات جديدة أساسها التخصص في العمل وظهور الملكية الفردية و إبتكار الحرف المتعددة و على رأسها صناعة الفخار والحلي وإكتشاف الزراعة وتربية الحيوان مما جعل العمل الجماعي ضرورة و حتمية لا مفر منها.

و رغم كل ذلك يبقى ما نعرفه عن التنظيم الإجتماعي في عصور ما قبل التاريخ قليل لا يتعد بعض الرسوم الصخرية النادرة التي صورت بعض مشاهد الحياة اليومية ، و بهذا تبقى الصورة الإجتماعية غير جلية بوضوح.

الهوامش:

¹ _ wikipedia, société[En ligne].http://fr.wikipedia.org/wiki/Soci%C3%A9t%C3%A9, (07.11.2007).

² _ أكرم محمد عبد كسار، مظاهر الحياة الاجتماعية و الإقتصادية في العراق القديم (منذ أواخر الألف السادس ق.م حتى بداية النصف الثاني من الألف الخامس ق.م) مجلة سومر ، تصدر عن مديرية الآثار العامة، بغداد ، العدد 45، الموسم 1987-1988، ص 248.

³ _ J.Chaline, L'histoire de l'homme et des climats au quaternaire, , doin éditeurs ,paris ,1985. p328

⁴ _ و.م.فلنדרز بترى، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975، ص ص26، 27.

⁵ _ نفس المرجع ، ص 28.

⁶ _ F.C.Hibben , L'homme préhistorique en europe , payot , paris ,1960.p 134.

⁷ _ فؤاد محمد الصقار ، دراسات في الجغرافية البشرية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1965 ط 1 ، ص 146.

⁸ _ ج.هاوكس و ل. وولى ، أضواء على العصر الحجري الحديث ، ترجمة ، يسري عبد القادر الجوهري ، بيروت ، مكتبة الجامعة العربية ، 1967. ص 93.

⁹ _ رالف لتون ، شجرة الحضارة ، ج2، الجزائر ، (الأنيس) موفم للنشر ، 1990، ص 118.

- ¹⁰ _ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1، تاريخ العراق القديم، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط2، 1955، ص 44.
- ¹¹ _ ج.هاوكس و ل. وولي ، المرجع السابق ، ص ص93-95.
- ¹² _ كانت هناك عائلات تعيش في قوارب على ضفاف النيل خلال العصر الحجري الحديث.
- ¹³ _ أحمد رشاد موسى ، دراسات في تاريخ مصر الإقتصادي ، القاهرة ، المجلس العلي للثقافة ، 1998. ص 67.
- ¹⁴ _ نعمت إسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط القديم ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1969، ص 20.
- ¹⁵ _ O.ourenche, Les premières maisons et les premiers villages, la recherche, mensuel, n°135, paris, juillet-ouat, 1982, p 881.
- ¹⁶ . أسامة عبد الرحمان النور و أبو بكر يوسف شلي ، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات ، مالطا ، منشورات ELGA، 1995، ص 647 .
- ¹⁷ _ wikipedia,spécialisation[En ligne]. <http://fr.wikipedia.org/wiki/Sp%C3%A9cialisation>
- ¹⁸ _ Ibid.
- ¹⁹ _ wikipedia, troc[En ligne]. <http://fr.wikipedia.org/wiki/Troc>
- ²⁰ _ ج.هاوكس و ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 97.
- ²¹ _ عبد الفتاح محمد وهيب ، مصر والعالم القديم (جغرافية تاريخية)، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 1975، ص 122 .
- ²² _ ج.هاوكس و ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 95.
- ²³ _ أحمد رشاد موسى ، دراسات في تاريخ مصر الإقتصادي ، القاهرة ، المجلس العلي للثقافة ، 1998. ص 67.
- ²⁴ _ أسامة عبد الرحمان النور و أبو بكر يوسف شلي ، المرجع السابق ، ص 648.
- ²⁵ _ ج.هاوكس و ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 98.
- ²⁶ _ أسامة عبد الرحمان النور و أبو بكر يوسف شلي ، المرجع السابق ، ص 648.
- ²⁷ _ عبد الفتاح محمد وهيب ، مصر والعالم القديم ، ص 122.
- ²⁸ _ أحمد رشاد موسى ، المرجع السابق ، ص 68.
- ²⁹ _ عبد الفتاح محمد وهيب ، مصر والعالم القديم ، ص 144.
- ³⁰ _ ج.هاوكسو ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 97 .
- ³¹ _ رالف لتون ، المرجع السابق ، ص 122.
- ³² _ ج.هاوكسو ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 49.
- ³³ _ طه باقر، المرجع السابق، ص 39.
- ³⁴ _ pomme de terre,origins[En ligne]. <http://www.potato2008.org/fr/pommedeterre/origines.html>, 28/12/2007.
- ³⁵ _ ج.هاوكس و ل. وولي ، المرجع السابق ، ص ص109 _ 111.
- ³⁶ _ بيتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة، زهير الكرمي، الكويت، عالم المعرفة، 1983، ص ص95-96.
- ³⁷ _ J.Demorgan , l'humanité préhistorique, la renaissance du livre, paris , 1924, pp 173,174.
- ³⁸ _ V.G.Childe , L'europe préhistorique , payot ,paris,1962.p37.
- ³⁹ _ M.Zvelebil, La chasse et la cueillette à l'époquepostglaciaire,pour la science, mensuel n°105,paris, juillet,1986.p 80.
- ⁴⁰ _ ج.هاوكسو ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 65.
- ⁴¹ _ نسبة الى حضارة البداري بمصر. (الباحث)
- ⁴² _ عبارة عن سلاح خشبي قديم ترمى منه القذيفة ثم ترتد الى صاحبها، (الباحث)
- ⁴³ _ ج.هاوكسو ل. وولي ، المرجع السابق ، ص 51.
- ⁴⁴ _ R.Furon. le sahara(géologie,ressources,minérales) , payot , paris , 1964,p 294.

- ⁴⁵ _ ج.هاوكس و ل. وولى ، المرجع السابق ، ص 13-14.
- ⁴⁶ _ G.Camps , Le néolithique méditerranéen (techniques et genres de vie) , édisud .france , 1998 , p25.
- ⁴⁷ _ ج.هاوكس و ل. وولى ، المرجع السابق ، ص 60.
- ⁴⁸ _ G.Camps , Op Cit . p25
- ⁴⁹ _ أحمد رشاد موسى ، المرجع السابق ، 64.
- ⁵⁰ _ ج.هاوكس و ل. وولى ، المرجع السابق ، ص 91.
- ⁵¹ _ H.j.Hugot , le sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris , France , 1974 , P168.
- ⁵² _ G.Camps, G.Camps, Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara ,éd doin , paris,1974, p 234.
- ⁵³ _ H.j.Hugot ,Op Cit. P169.
- ⁵⁴ _ J.P.Maitre, Contribution a la préhistoire de l'ahaggare, (1)Téfedest centrale ,Mém, du c.r.a.p.e.17,France, 1971, p55.
- ⁵⁵ _ Ibid , p160 – 161.
- ⁵⁶ _ H.Lhote, A la découvert des fresques du tassili, Arthaut, Paris,1973 , pp 66 , 217, 218.
- ⁵⁷ _ H.j.Hugot ,Op Cit, p125,126.
- ⁵⁸ _ Ibid, p 124.
- ⁵⁹ _ Ibid, p 126.
- ⁶⁰ _ S.Gsell ,Histoire ancienne de l'Afrique du nord , t.1, éd.Ottozeller, verlag. Osnabruk,1972 ,p 241.